أقنعوني كي أتطهر بـ(عَتلاْتِكم) وأبرأ إليكم منهم

عبدالكريم المدي

أن تفرض على شعب أو قل على معظم أبناء هذا الشعب أو ذاك الانحناء أمامك والتسليم بمنهجك كمنهج أبدي له في حياته .. فهذا صعب!

وأن تفرض على شعب وبالقوة حالة من اللا يقين بالذات وبالآخر وبالقدرات والأهداف والقيم وكل مؤسسات المجتمع ونظمه بما في ذلك أنماط القيم الأخلاقية والثقافية والإنسانية فهذا صعب!

وأن ينكشف مشروعك وخطابك وأهدافك للناس كافة وأنت تحاول أن تجعلهم يعيشون في أقسى أنواع الاغتراب الذي تغيب فيه المعاني والأهداف من الحياة التي تكرس كل جهودك وإمكانياتك لتجريدها من العلاقات الإنسانية المبنية على الحوار والتسامح والمحبة والحميمية وتريد الناس يهتفون من بعدك وتحت لوائك وهم يُشعلون الشمع في كل بيت وشارع وحي احتفاءً بك كولي من أولياء ما قبل العصور الوسطى أو كإله فرعوني أو آلهة اليونان القدامى، فهذا أيضاً أمرٌ صعب.

إذن عليك أن تعلم يا أخي في الله وسيد من أطاعك واتبعك في القبيلة، أيا كانت، أن أي إنسان وأي سياسي وأي محترم يحترم نفسه وآدميته لن يقبل بمصادرته وقتل فكره وروحه ومشروعه وكيانه وثقافته ،بل سيقارع ويقارع أي سلوك أو ثقافة أو فكر يمكن أن يجرده من إنسانيته وكرامته وحقوقه وحريته في وطنه.

وعليك يا صديقي وشريكي في الوطن والثقافة، أياً كان موقعك ومكانتك وقد استك .. عليك أن تعلم أن أخر ما يتهدد الحياة والضمير والمواطنة والسلام والمحبة هو أن تروض من آمن بك وبمشروعك وسار على ملّة نهجك وتفكيرك ومصالحك، تروضه ثقافة وفكراً وسلوكاً على اعتياد الجريمة واستباحة الآخر .. وبالتالي وإن أردت شراكة وطاعة مني وهتافاً بك ولبرنامجك .. عليك أن تعدل عن ثقافة التكفير والتخوين والتخويف والعنف ولعل أول خطوة تقوم بها في الاتجاه الصحيح أو الذي يجب أن تكون عليه كي تنال ثقتي ومواطنتي، كمواطن صالح مطيع من رعاياك .. هي التوقف عن خداع الذات والاتباع والخدج وصرعى خطبك ومواويلك .. كما يجب عليك وأنت الذي يهتف بالمدنية من خلال الانتهاكات والبوازيك أن تؤمن بوجودي وبالديمقراطية وتجعل من نفسك وقومك ومؤيديك قدوة لي في ممارسة المدنية وإشاعة وتشجيع الحرية والعدالة والسلام والتسامح .. ولا تعتمد مطلقاً على اليقين الذاتي والمصلحة الشخصية كمعيار وحيد لصحة الأفكار والمعتقدات والتوجهات والسياسات ولا تضاعف أيضاً من عسرتي وشقائي وقطع سبل عيشي وأمني ومصالحي وحتى الشمع من الأسواق بعد الكهرباء والوقود والمدرسين وغيرهم ممن قمت بخطفهم وترغيبهم وترهيبهم، إما إلى المجيء إلى الساحات ألو العسكرة في الطرقات والمنشآت والشوارع والبيوت وترك القلم والطبشور وحمل صواريخ (لو) وبوازيك (اربيجي) وقنابل ورشاشات وصواعق صعقت بها حياتي وكهربة أوقاتي وسلبت منامي وفرغت أحلامي .. وكلما تمت دعوتك للحوار تأسياً بقوله تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) زادك ذلك إصراراً واستكباراً .. لترفض الحوار مع ابن جلدتك وعقيدتك ووطنك وثقافتك متناسياً أن الله جل وعلا أمر وجعل الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب والمختلفين عقيدة ولوناً وثقافة ولغة ووطناً، ممكناً وضرورياً فما بالك بين أبناء واتباع العقيدة والجغرافيا والثقافة الواحدة.

إن الأصل في الاختلاف في الرأي هو من أجل الأفضل وليس من أجل الهدم وإيقاف عجلة الحياة وقطع الكهرباء وتهديد المثقفين وإحالة حياة الناس إلى جحيم مستطير وأفق مسدود .. إن الأصل هو البحث عما يوحد وليس عما يفرق .. البحث عن نقطة تحول حقيقية في حياة الناس والاتفاق على تأسيس وجهة نظر جديدة تسبح في فضاء عصري وليس أنهاراً من الدماء وأكوام من الخراب وسحب من الدخان وظلمات من الظلم والظلام.

صدقوني أيها الأعزاء على النفس، الشركاء في الوطن الأخلاء في الله أننا صرنا متخوفين من مشاريعكم التي ينقض كل واحد منها الآخر .. ولقد صرنا نكتب لكم في الظلام ونكتبكم في الظلام وندعو لكم وعليكم في الظلام .. ولقد صرنا نشك فيكم كشكوكم في بعضكم البعض .. لقد صرنا نُشك في مشائخكم ومرجعياتكم ومللياكم ومفكريكم وكُهّانكم ومنظريكم الذين يعلنون الحرب الشعواء ضدنا وضد المختلف أياً كان وضد الجديد وضد الحوار والديمقراطية وضد بعضكم البعض في ساحة جامعة صنعاء وصافر بتعز كشكنا في تعايش القط والفأر والأسد والغزال والتمساح والإنسان في نهر واحد.

واسمحوا لي أن أسألكم سؤالاً، أسئلة بريئة من شخص لا تربطه أي منافع بالسلطة القائمة ولا يمتلك أيضاً حتى قيمة شمع تبدد جزءاً من ظلام البيت (الإيجار) فقط لمدة) ١٠(أيام على بعضها .. اسمحوا لي أقول: بالله عليكم أيها الإخوة في المعارضة ومن مواليهم واتباعهم من الشباب ومن شايعهم: كيف سترسمون للناس أحلاماً جميلة وكبيرة وأنتم تفرضون عليهم ابتداءً من الساحات وانتهاءً بوسائل الإعلام والخطب الرنانة والشوارع وبالقوة فكرة أنكم الحق والخير وما سواكم باطل وشر وأنتم حقائق مطلقة غير قابلة للنقاش والآخر تابع وخائن للثورة وعدوٌ لله وعميل للامبريالية وبلطجي؟!! هيا اقنعوني كي أعلن توبتي وأتطهر من ذنوبي وأحلق رأسي وألبس (الإحرام) وآتي إليكم تمنحوني صك الغفران وتذكرة دخول لجنتكم الموعودة وغدكم المنتظر.

اقنعوني كيف ستعملون من فكرتكم في الحياة المبنية أصلاً على الصراع من أجل التماسك والسيطرة؟ الفكرة سلام وديمقراطية؟!! اقنعوني بأنكم لستم أولئك الذين حاولوا الاعتداء عليّ مرة بالقتل وأخرى لغرض الخطف وبأنكم لستم من قطع لسان الشاعر وليد الرميشي واعتدى على الداعية الإسلامي موسى المعافا .. أو أنكم لستم من عذب عشرات الأشخاص في جمعية الإصلاح الخيرية في ساحة جامعة صنعاء واجتز اللحم من أجسادهم وانتزع الحياة من قلوبهم وشراييهم.

اقنعوني بأنكم لستم من اعتدى على الأخ رئيس الجمهورية وكبار قادة الدولة وهم يؤدون صلاة الجمعة في مسجد النهدين يوم٣/٦/٢٠١١ م واقنعوني بأنكم لستم من عذب الشاب عبدالولي محمد العماري والحاج محمد الدبا ومحمد الخياطي وشقيقه والعشرات غيرهم في مقر جمعية الإصلاح التي قدمتم فيها لشياطين (ثورتكم) الكثير من الضحايا كقرابيين .. اقنعوني بأنكم لستم من تسبب في وصول البلد إلى حافة الانهيار أو أنكم من تسبب في خروج ملايين العمال والموظفين من أعمالهم وخروج النساء والأطفال إلى الشوارع يتسولون .. اقنعوني بأنكم لستم أنتم من تسبب، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في قتل وجرح الآلاف من المواطنين والجنود.

اقنعوني بأنكم لستم أنتم المسؤولون عن نزوح آلاف الأسر من الحصبة وغيرها .. اقنعوني بأنكم لستم من يجعل من إنتاجه الفكري حقائق غير قابلة للنقاش وأنتم من تؤسسون للاستبداد والتسلط والإقصاء والمصادرة والضرب والتنكيل والعنف في ساحة الجامعة وصافر ومعظم الطرقات وفي الحصبة أيضاً وغيرها لتزرعوا في كل نسمة وواحة وفكر وقلب وجهة رؤاكم المطلقة التي تحمل بذور القهر والتسلط.

اقنعوني أنا الفقير إلى الله وإلى عفوكم وأحد المدرجين في صحائفكم وقوائمكم وساحاتكم السوداء .. الإخوة المحترمون والمشائخ المجللون والشباب الطاهرون والسياسيون المحنكون اقنعوني إنني ومعي الكثير من الأصدقاء الذين سيطرت عليهم ثورة الشك فيكم وفي كل جزئية من سلوككم نأتي إليكم ولو متأخرين لتباركوا قدومنا وتوبتنا وتزيلوا عنا ما قد علق بقلوبنا وعقولنا وحواسنا من شك وشرك وإلحاد بكم .. بطهارتكم .. بعدالتكم .. بمشاريعكم .. اقنعوني كي تزيلوا يقيننا بأنكم من قتل في أكثر من غزوة وواقعة وساحة .. اقنعونا كي لا نصدق بأنكم من قتلتم هنا وهناك، حتى وإن قتلتم أمامنا لاحقاً ولا نصدق أيضاً بأنكم من قطع الكهرباء حتى وإن ضربتموها بقذائف الاربيجي أمامنا .. اقنعونا كي لا نصدق بأنكم دعاة دكتاتورية وقبيلة .. حتى وإن مارستم ذلك فينا ونحن نبجلكم ونتبارك بعتلات الحديدية التي تضربون بها ظهورنا وظهور حديثي الإيمان بكم والمؤلفة قلوبهم في ساحاتكم وسجونكم العادلة، السرية، الثورية، بكرة وعشيا.

جامعة عدن تودع الدكتور مبارك الخليفة

عدن . سبأ

نظمت جامعة عدن أمس حفل وداع وتكريم للدكتور مبارك حسن الخليفة الذي قرر العودة الى موطنه السودان بعد ٢٤ عاما قضاها في خدمة التعليم بالجامعة كأستاذ للغة العربية في كلية التربية عدن.

وفي الحفل اشاد رئيس جامعة عدن الدكتور عبدالعزيز صالح بن حبتور بدور الدكتور الخليفة في خدمة التعليم بالجامعة واخراج اجيال عديدة من خلال تدريسهم للغة العربية في كلية التربية، مشيرا الى الدكتور الخليفة تميز بخصال عديدة أهمها مقدرته على خلق بيئة أكاديمية وثقافية دافئة بينه وبين زملاءه وطلابه.

وقال إن الدكتور مبارك الذي جاء قبل ٣٤ عاماً لا زال يحمل في ذهنه وفكره أحلاماً جميلة يريد أن يغير بها الواقع الإنساني والإجتماعي والمتمثل في أشعاره وكتاباته في المنتديات وقاعات المحاضرات وفي كل مواقع الأدب والعلم على حد سواء، مشيراً الى ان قضيته الأساسية هي نضاله لأجل تطوير اللغة العربية التي تعرضت لإهمال كبير.

وأكد الدكتور بن حبتور التزام جامعة عدن من الناحية الأدبية والأخلاقية بتكريم روادها وأساتذتها موضحاً أن الخليفة أعطى لليمن أكثر مما أعطاه للسودان وأن فكره واحداً من القمم والمصادر الرئيسية التي سيعتمد عليها الطلاب وزملاؤه الأساتذة.

من جانبه عبر الدكتور مبارك حسن الخليفة عن سعادته الغامرة بهذا التكريم والتقدير من قبل قيادة جامعة عدن، معبرا عن شكره وامتنانه لأحبابه من طلاب وزملاء مهنته الذين عمل معهم أكثر من ثلاثين عاماً في رحاب جامعة عدن والعديد المنتديات الأدبية ووسائل الإعلام المختلفة. فيما اوضح عضو الامانة العامة لاتحاد الادباء والكتاب اليمنيين جنيد محمد أن مساهمات الدكتورالخليفة عملت على إرساء التقاليد الرصينة للغة العربية وكان له التميز بصورة منفردة في نقل نشاطه خارج أسوار الجامعة كونه يعد قلباً مفتوحاً كالشجرة المثمرة في تواضعه وابتسامته ورعايته للطلاب ذو المواهب المختلفة مكنتهم من تجاوز العثرات وفتح أمل الحياة أمامهم وأضاء قناديل الشعر في حياتهم.

كما القيت في الحفل عدد من الكلمات عن طلبة وزملاء واصدقاء المحتفى به.

وألقيت عدد من القصائد الشعرية للدكتور مبارك الخليفة التي تغنى بها لليمن والسودان قرأها الدكتور مبارك سالمين، والدكتور علوي عبدالله طاهر وشوقي شفيق عبرت في مجملها عن إبداع وتميز أشعار الدكتور مبارك الخليفة.

عقب ذلك قام الدكتور عبدالعزيز صالح بن حبتور رئيس جامعة عدن بمنح الدرع الذهبي لجامعة عدن بذكراها الأربعين للدكتور مبارك الخليفة تقديراً لدوره الثقافي والتنويري والعلمي في جامعة عدن ومدينة عدن واليمن طوال ٣٤ عاماً من البذل والعطاء العلمي المتميز.

حضر الحفل التكريمي نواب رئيس جامعة عدن وعمداء الكليات ورؤساء المراكز والأقسام العلمية وكل محبي وطلاب وزملاء الدكتور مبارك الخليفة.

الجدير بالذكر أن الدكتور مبارك حسن الخليفة، عمل منذ العام ١٩٧٧م، كأستاذ للغة العربية في كلية التربية عدن، ويعترف المثقفون في اليمن بفضله في الحركة الثقافية اليمنية، وفاق عدد طلابه من حملة الدكتوراه في اليمن العشرين طالباً جميعهم في مراكز مرموقة في الجامعات اليمنية، وتكريماً لدوره البارز قامت وزارة الثقافة بطباعة بعض أعماله ومؤلفاته.

ويلقب الدكتور مبارك حسن الخليفة بالسوماني الأول في اليمن، وهو مشهور بحبه وعشقه لمدينة عدن، بل وأضحى علماً من أعلام عدن، ويُعرف الأستاذ مبارك بعاشق عدن حيث يعرفه الصغير قبل الكبير في هذه المدينة الحالة على وسادة التسامح ولحاف الحب.

آرثـــر رامـــبـــو وحـــداثـــة الـشـعـر

مؤلفة هذا الكتاب هي الباحثة الفرنسية دومينيك كومب أستاذة النقد الحديث في جامعة السوربون وهي مختصة بالشعر الحديث أساساً، وكانت قد نشرت سابقاً عدة دراسات عن شعر مالارميه وإيف بونفوا وآخرين عديدين، ويتركز اهتمامها على الشكل الشعري أو اللغة الشعرية والمتغيرات التي طرأت عليها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بمعنى آخر فإنها مهتمة بدراسة ما ندعوه بثورة الحداثة الشعرية.

ولهذا السبب فهي تقدم هنا كتاباً كاملاً عن أهم علم من أعلام هذه الثورة التي غيرت مصير الشعر شكلاً ومضموناً: آرثر رامبو، وهي تتبع كل آثاره وأعماله منذ أشعاره الأولى وحتى؟فصل في الجحيم ؟ و؟الإشراقات؟ وتحاول أن تشرحها وتعلق عليها وتموضعها ضمن الحركة العامة للتجديد الشعري ككل.

ومعلوم أن رامبو كان في أشعاره الأولى كلاسيكياً، أي يتقيد بالنظم والوزن والقوافي. وهذا ظاهر في قصيدته الشهيرة؟ القارب السكران ؟ولكنه تخلى عن كل ذلك عندما كسر الأوزان والقوافي في رائعتيه النثريتين: فصل في الجحيم، و؟الإشراقات.؟

والمؤلفة تقول إن رامبو لو ترك الشعر أو لو مات بعد كتابته لقصائده الأولى الكلاسيكية لربما نسيه الناس ولما احتل أي مكانة مهمة في تاريخ الشعر. وهذا كلام غريب الشكل ومرفوض قطعا. لماذا؟ لأن أشعاره الأولى من أجمل الأشعار وأروعها حتى ولو كانت متقيدة بالأوزان والقوافي، فمن اطلع عليها مرة واحدة لن ينساها. صحيح انه قطع معها في مرحلته الشعرية الثانية ذات الطابع النثري الخالص، ولكنه لم ينكرها ولم يتخل عنها، أو قل أنه أنكر كل شعره فيما بعد ولم يعد يهتم به.

مهما يكن من أمر فإن المؤلفة تفتتح كتابها بهذه العبارات الواردة في رسالة الرائي الثانية التي وجهها رامبو يوم ١٥ مايو من عام ١٨٧١ إلى صديقه بول دومني، وهي الرسالة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس ولا تزال تحظى بالتعليقات والشروحات حتى الآن بالإضافة إلى رسالته الأولى التي سبقتها بوقت قصير.

يقول رامبو؟: ينبغي أن نعثر على لغة شعرية جديدة.. ينبغي أن نطالب الشعراء بأن يأتوا بشيء آخر جديد، شكلاً ومضموناً، ذلك أن اختراع المجاهيل أو (اكتشاف المجاهيل بالأحرى) يتطلب منا استخدام أشكال لغوية جديدة ؟بمعنى آخر فلا مضمون جديداً من دون شكل جديد.

من يصدق أن رامبو كتب هذا النص وعمره سبعة عشر عاما فقط وربما أقل؟ ومع ذلك فلا تزال هذه العبارات وغيرها الواردة في الرسالة تشكل البرنامج الأساسي للحداثة الشعرية سواء داخل فرنسا أم خارجها. وأكبر دليل على ذلك شهادات كبار الشعراء والكتاب بآرثر رامبو والتأثير العظيم الذي مارسه على الشعر والشعراء منذ وقت وحتى يومنا هذا. ولحسن الحظ فإن الناقدة الفرنسية تكرس لهذه المسألة ملفاً خاصاً في نهاية الكتاب.

لكن قبل أن نصل إليه يفضل أن نتوقف ولو للحظة عند الهيكلية العامة لكتابها وكيف تدرس رامبو وأعماله بطريقة منهجية علمية. هناك أولاً مقدمة عامة للكتاب تتحدث فيها عن المكانة التي يحتلها صاحب؟ القارب السكران ؟في تاريخ الشعر الفرنسي وربما العالمي، ثم تردف المؤلفة في مقدمتها اللطيفة قائلة: هناك مزحة تعزى إلى رامبو وتقول بأن الشعر لا يصنع بالأفكار وإنما بالكلمات. وسواء أقال رامبو هذه العبارة أم لا فإنها صحيحة إلى حد كبير. وتنطبق عليه وعلى مالارميه وكل فرسان الحداثة الشعرية.

وهذا لا يعني أن المضمون ليس مهما في الشعر، وإنما يعني أن الشكل الجديد الذي يخترعه الشاعر هو الذي يأتي بالمضمون الجديد بشكل شبه أوتوماتيكي، فالأفكار يمكن أن نجدها على قارعة الطريق عند كل الناس ولكن الصياغات الشعرية الجديدة هي الصعبة وهي العسيرة على المنال. والواقع أن رامبو مارس الكتابة الاتوماتيكية قبل أن يكتشفها السورياليون وينظروا لها بزمن طويل ويكفي ان نلقي نظرة على ؟فصل في الجحيم ؟أو؟ الاشراقات ؟حيث تسود اللغة الهذيانية وشبه الجنونية لكي نتأكد من ذلك.

هنا تتجلى عبقرية رامبو الشعرية وعظمته. وبهذا المعنى فإن كل شعراء الحداثة خرجوا من معطفه لاحقاً. رامبو كان الرائي الرائد والمبتكر للصياغات الجديدة التي لا تزال تهمين علينا حتى اليوم، ولهذا السبب فإن الناقدة الفرنسية تؤكد قائلة: شعر رامبو هو قبل كل شيء صياغة، لغة، تراكيب غير معهودة سابقا في الشعر الفرنسي.

لقد كسر اللغة، حطمها، ثم بنى على أنقاضها لغة أخرى جديدة هي ما ندعوه: بالحداثة الشعرية، ولو أنه استمر في كتابة الشعر على طريقة فيكتور هيغو أو على طريقة بودلير لما كان هناك شيء اسمه حداثة شعرية. هذا شيء واضح لكل ذي عينين. رامبو هو المقتحم الأول للمجاهيل الشعرية، هو المفجر الأكبر للغة الشعر.

بعد هذه المقدمة النظرية الهامة تنتقل المؤلفة للتحدث عن أزمة الشعر الغنائي الفرنسي عندما ظهر رامبو في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فرامبو أنقذ الشعر من الغنائية الكلاسيكية أو الرومانطيقية عن طريق اختراع لغة شعرية جديدة، هي لغة النثر أو قصيدة النثر ذات الغنائية الموضوعية إذا جاز التعبير: والغنائية الضمنية غير الصارخة وغير المائعة.

من هنا أهمية انتقاله من؟ القارب السكران ؟إلى؟ فصل في الجحيم ؟و؟الاشراقات؟، كان الشعر الفرنسي قد وصل إلى باب مسدود بعد أن استنفد فيكتور هيغو كل الإمكانيات الغنائية المطربة للشعر الفرنسي. وبالتالي فلم يعد أمام رامبو الا خياران: إما أن يستمر في تقليد فيكتور هيغو، وإما أن ينحرف بالشعر الفرنسي مئة وثمانين درجة عن فيكتور هيغو لكي يكتشف أرضا جديدة بكرا: أي لغة شعرية لم تعرف من قبل.

وبعد تردد المحاولات الأولى اختار رامبو الحل الثاني بالطبع وضمن لنفسه الأبدية والخلود. فمن يستطيع أن يضاهي المتنبي وأحمد شوقي أو بدوي الجبل في الغنائية الكلاسيكية التي تشبع الأذن العربية إشباعا؟ من يستطيع أن يضاهي فيكتور هيغو في الغنائية الكلاسيكية الفرنسية التي تفعل الشيء نفسه بالنسبة للفرنسيين؟ لا أحد وبالتالي ينبغي أن نقتل المتنبي ونقتل فيكتور هيغو وأحمد شوقي لكي نستطيع أن نكتب شعرا آخر.

وبالتالي فينبغي نسيانهم أو الانحراف عنهم كليا إذا ما أردنا أن نأتي بشيء جديد. وهذا ما فعله رامبو وهذا ما فعله على إثره كبار شعراء الحداثة العربية. ثم تقدم المؤلفة بعدئذ شرحا معمقاً لديوان؟ فصل في الجحيم ؟ثم لديوان ؟الاشراقات ؟وذلك قبل أن تقدم ملفاً كاملاً عن آراء كبار النقاد والشعراء فيه كما ذكرنا أنفاً.

فيما يخص؟ فصل في الجحيم ؟تطرح المؤلفة السؤال الوجيه التالي: هل هو سيرة ذاتية للشاعر، ثم تجيب هذا الجواب الرائع والموفق: إنه عبارة عن ملحمة داخلية وسيرة ذاتية أسطورية لرامبو. ولكي نشرح ذلك تلزمنا مجلدات! لكن لنقل باختيار شديد ما يلي: رامبو كتب هذا الديوان على إثر قطيعته الشهيرة مع فيدلين في بروكسل.

وكان هذا الأخير قد أطلق عليه النار من مسدس وأصابه في معصمه وجرحه كما هو معروف. وبعد المستشفى والعلاج عاد رامبو إلى مزرعة العائلة، إلى بيت أمه. ثم اختلى مع نفسه في سقيفة البيت حيث توجد الغلال. وافترش الأرض! وباعتراف أخته؟ ايزابيل ؟فإن صراخه كان يسمع على مسافة خارج الدار وهو يكتب؟ فصل في الجحيم .؟كان في حالة هذيانية لا توصف. كان ألم القطيعة مع صديقه فيولين لا يزال طريا. وكانت ذكريات حياته البوهيمية معه في لندن لا تزال طازجة. وكانت الذكريات المرة تتفاعل في وعيه الداخلي.

ضمن هذه الظروف المرعبة نتج فصل في الجحيم. كان يخبط على الأرض وتسمع كل العائلة أنينه وعويله دون أن تتجرأ على إزعاجه أو الصعود إلى السقيفة مساءلته عن الموضوع. لقد تركوه وحده يحل مشكلته ويصفي حساباته. وقد حلها بعد أن تمخضت عذاباته وهيجانه عن هذا الديوان الخالد الذي أسس الحداثة الشعرية الفرنسية وربما العالمية. وأثبتت صحة مقولة التحليل النفسي بأن الفن يشفي من العصاب أو الجنون.

فلولا أن رامبو استطاع أن يخرج كل تراكماته الداخلية إلى السطح عن طريق كتابة هذا النص العبقري لربما قد جُن أو انتحر. ولذلك أنهاه بهذه العبارة؟: الآن انتهى الكابوس. الآن أستطيع أن أحيي الجمال !؟بعد أن فرغ كل الشحنات الداخلية التي تضغط على قلبه استطاع أن يتصالح مع نفسه، أن يتجاوز محنته التي عصفت به وخلخلته.. لقد انتصر رامبو على نفسه بعد معاناة هائلة واحتقانات مرعبة كادت أن تودي به. وكان أن نتج عن كل ذلك هذه الرائعة الأدبية: ؟فصل في الجحيم.؟

إذا لم نوضح الأمور على هذا المستوى فإننا لن نفهم شيئاً من شيء ولن نعرف سبب عظمة هذا الديوان الصغير الحجم ولا يزال يهزنا حتى الآن. ولن أتوقف عن؟ الاشراقات؟ لأنه أصعب دواوين رامبو وأكثرها غموضاً وعسراً على الفهم. ولكن سأكتفي بهذه المزحة الرائعة: أرسل أحد الملاعين الباريسيين؟ اشراقات ؟رامبو كمخطوطة إلى دور النشر لكي تنشرها بحجة أنه شاعر جديد، فرفضتها كلها قائلة بأنها لا تستحق النشر!.. والواقع أن تودوروف، وهو من هو في مجال النقد يعتقد بأن اشراقات رامبو تستعصي على الفهم بكل بساطة.

وبالتالي فكان الأجدر به أن يدعوها؟ غموضات؟ لا إشراقات.. ولكن هناك متعصبين كثيرين لهذه القصائد العبقرية، ومن بينهم فيليب سوليرز. والبعض يعتبرها أدباً آخر أو أدباً يعلو على كل أدب!

الكتاب: آرثر رامبو
شرح وتعليق على أشعاره
وعلى فصل في الجحيم، والإشراقات